واقع الأدب الشعبي الجزائري في ظل تكنولوجيا الاتصال

د. صالح جديد

قسم اللغة العربية و آدابها

جـامعة الطـارف

الملخص:

تسعى هذه المقالة إلى الكشف عن الواقع الذي يعيشه الأدب الشعبي الجزائري في ظل الوسائل التكنولوجية الحديثة،من مثل الأنترنت،وسائل التواصل الاجتماعي،الأدوات والآلات التكنولوجية المستخدمة في التصوير والكتابة،كما تحول بحث الآثار الناتجة عنها سلبا وإيجابا،منطلقين من سؤال جوهري مفاده:ما مدى استفادة وتأثر الأدب الشعبي بالوسائل التكنولوجية الحديثة؟

Résumé :

cet article cherche à découvrir la réalité d'une littérature populaire algérienne sous les technologies modernes comme l'Internet, les médias sociaux, les outils et les équipements technologiques utilisés en photographie, écriture et tourné les effets qui en résultent négativement et positivement, de la question fondamentale est : quelle est l'ampleur et l'impact de la littérature populaire de la technologie modern?

Abstract:

This article seeks to uncover the reality of Algerian folk literature under modern technology such as the Internet, social media, tools and technological equipment used in photography, writing, and turned the resulting effects negatively and positively, from fundamental question was: what is the extent and impact of folk literature by modern technology ?

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

الكلمات المفتاح :

الأدب الشعبي ، التحولات الاجتماعية ، واقع الأدب الشعبي ، الأدب الشعبي الجزائري ، التطور التكنولوجي ،أساليب الاتصال ، الديناميكية الاجتماعية .

Mots clés :

littérature, transformations sociales, littérature populaire de réalité, littérature populaire, technologie, communication, dynamique sociale.

Key words:

littérature, social transformations, reality folk littérature, folk littérature, technology, communication, social dynamic

المقدمة :

تتجه الإبداعات والدراسات الشعبية في هذا العصر نحو التواصل الجماهيري والذي لا يتحقق إلا بواسطة تكنولوجيا الإعلام الحديث،هذه التكنولوجيا التي دشنتها المطبعة وواصلت سيرها الوسائل الاتصالية المختلفة من مسموعة ومرئية إلى رقمية إلى وسائل أخرى قد يكشف عنها البحث والتطور التكنولوجي في الأزمنة القادمة، وبفعل هذه الخدمات التي تقدمها وسائل الاتصال الجماهيرية أضحى النص الشعبي كل متكامل ما بينه وبين المبدع والمتلقي، محققا بذلك الثلاثية المشكلة من : الرسالة \ النص، والمرسل \ المبدع، المرسل إليه \ المتلقي \ الجمهور، وهي علاقة وطيدة لا يمكن لأي طرف منها أن يتجسد ويتحقق بمعزل عن الطرفين الآخرين ، إنها عملية متداخلة متكاملة يقول في هذا الصدد الباحث الفولكلوري توم بيرنز: " على الباحث أن يفهم الفولكلور على أنه رسالة مرسلة من باعث (المبدع) وعملية الإبداع على أنها تعبير عن الموقف التراثي والجهد الإنساني والحدث الاجتماعي ، وهذا الحدث يتصاعد باستمرارية التفاعل مع الجمهور ومدى استجابته للمبدع وماهية المبدع "(1) ،فعلى الدارس للتراث الشعبي بكل أطيافه أن يدرك أهمية وسائل الاتصال والتكنولوجيات الحديثة في الارتقاء والتعريف به، كما عليه أن يدرك المخاطر والمزالق العلمية والفنية التي تحدثها إذا لم تستخدم في محلها ولأهدافها العلمية الحقة .

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

إن المجتمعات التي تحترم ذاتها وتسعى للحصول على مكانة لها داخل المجتمع الدولي هي تلك التي تعمل على مواكبة ومسايرة التطور التكنولوجي وتسخيره لخدمة أدبها وتراثها وثقافتها دون ذوبان أو انبهار بالآخر، إنه أخذ حكيم بما لديه ومحافظة على ما لديها من ثقافات وتقاليد وآداب تميزها عن غيرها وتكسبها خصوصيتها الأممية.

وفي هذا الإطار جاءت مقالتنا لتسلط الضوء على الأدب الشعبي عموما والجزائري خصوصا في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال، ونحن ندرك منذ البداية أننا لن نحيط بالموضوع من كل جوانبه ولكننا فقط نسلط الضوء على أهم قضايا الموضوع، وما لا يدرك كله لا يترك جله على حد قول أمثالنا العربية.

1_ تكنولوجيا الاتصال المفاهيم والأنواع :

في هذا المقال نحاول التقرب من مصطلح تكنولوجيا الاتصال، حيث منذ البداية نحدد مقصدنا بالمصطلح ما يتضمنه من وسائل الاتصال الحديثة من مثل التلفاز والمذياع والحاسوب والانترنت وما يدور في فلكها من مدونات ومنتديات ومواقع ...الخ فتكنولوجيا الاتصال هي تلكم الثورة التكنولوجية في عالم الاتصال متخطين بذلك الوسائل التقليدية المتمثلة أساسا في الوسائط المطبعية التي أدت دورا مهما في العملية الإعلامية هذه الأخيرة في العصر الحديث أصبحت الضرورة المتغيرة في العلوم والمجتمعات دفعت بالقائمين عليه على تطويره واستغلال كل التكنولوجيات المحققة للهدف فالإعلام أساسا يقصد به : " الإنباء أو الإخبار ، كما تعني أيضا التوضيح والشرح والاستفسار، إضافة إلى أنها تشمل معاني المفهوم والتصور والتعرف " (2) ، فإذا كان هذا هو الإعلام من الناحية الاصطلاحية فإنه لا يبعد كثيرا في الوظيفة عن الأدب الشعبي الذي يعمل من خلاله المبدع الشعبي على نقل الأخبار أو التفسير والإيضاح لقضايا الأمة بواسطة المعلوماتية التي تعرف بأنها : " منظومة المعارف المنتمية إلى سائر أنواع المعلومات في الطبيعة والمجتمع وفي التجهيزات التقنية سواء من حيث إنتاج وتحويل هذه المعلومات أو من حيث تخزينها وتوزيعها " (3) ، ومن *أهم تقنيات الاتصال نجد الوسائط التالية : "الهاتف والفيديوتكس والتيليتكس، والفاكسميلي، والأقمار الصناعية، والألياف الضوئية، وتكنولوجيا الاتصالات الرقمية والبريد الإلكتروني "(4) ، وغيرها من الوسائط التي ورثت أخواتها التقليدية التي بدأت مع فجر الإنسانية من الاتصال الشفوي إلى التدوين من خلال الكتابة والتي سرعان ما تطورت مع المطبعة إلى الهاتف بكل أنواعه إلى التلفزيون بأشكاله وتقنياته المتطورة إلى عصر الانترنت والتطورات الحديثة المتسارعة الحاصلة في*

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

هذه التقنيات ودورها الفاعل في تناقل المعلومات عبر أرجاء المعمورة ، وهذا التواصل بين الناس من خلال نقل المعلومة أو تخزينها لوقت الحاجة يجعلنا نخلص إلى أن الوظيفية الإبداعية القائمة على وسائل الإعلام والمعلوماتية المختلفة تحقق ما يلي :

1- الاحتكاك والتأثير والتأثر بين الناس.
2- تكيف الإنسان مع ظروف حياته المتغيرة بفعل المعلومة والعمل بها.
3- المعرفة والاطلاع على ما في العالم من خلال المعلوماتية وبواسطة الذهن البشري .
4- التوريث الآلي لسمات وإبداعات الآباء إلى الأبناء.

من خلال هذا يتضح لنا أنه إذا كانت المعلوماتية توجه علمي تقني وإنتاجي فإن الإبداع الشعبي هو توجه إنساني فني وإنتاجي يتوسل المعلوماتية للوصول لأكبر عدد ممكن من الناس متخذا من قيمهم وعاداتهم منطلقا لذلك .

إن الأدب الشعبي الجزائري كغيره من الإبداعات العالمية الأخرى استخدم التكنولوجيا الحديثة في تحقيق التواصل والانتشار، ولم يقف المبدع الشعبي أو الدارس في العصر الحديث موقف المتفرج أو السلبي بل راح ينتقي ويختار من تلك التكنولوجيات ما يسمح له وللإبداع الشعبي من البقاء والاستمرار والتأثير والتجدد مع المحافظة على خصوصيات ومميزات النص الشعبي، ولعل المتصفح للمواقع الالكترونية والمدونات الجزائرية سيلحظ الكم الهائل من النصوص الشعبية القديمة المجهولة المؤلف ،أو الحديثة المعلومة المؤلف ،أو الدراسات النقدية الهاوية والأكاديمية في باب الأدب الشعبي عامة والجزائري خاص، هذا الحضور المتميز يجعلنا نبشر بظهور أدب شعبي تفاعلي مواكبا للحركية التكنولوجية مستفيدا منها متخطيا بذلك الحذر والخوف والأحكام بالسلبية والتحريف الذي يلحق النص الشعبي جراء هيمنت وسائل الإعلام والاتصال المتطورة عليه .

2_ الأدب الشعبي الجزائري جذور وتاريخ :

يمثل الأدب الشعبي الجزائري بكل أشكال تعبيره المختلفة لبنة رئيسية من لبنات الصرح الأدبي والفكري الجزائري، وقد خضع أدبنا الشعبي إلى عدة دراسات وتجارب منها ما كان أكاديميا ومنها ما كان من الهواة، ومهما كان نوع الدراسات وأهميتها فإن الأدب الشعبي الجزائري عرف بداياته مع الباحثين الفرنسيين وغرضهم من وراء ذلك استعماري لا غير، ولكن تلك الدراسات نبهت الجزائريين إلى

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

أهمية أدبهم الشعبي ودوره الريادي في تقدم وحماية المجتمع والمحافظة على هويته وخصوصياته المميزة له عن غيره من المجتمعات .

لقد بدأت دراسة الأدب الشعبي الجزائري على أيدي المستشرقين الفرنسيين في الربع الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (ق. 19م) حينما بدأ الاهتمام الفرنسي ينصب على الثقافة الشعبية الجزائرية – عموما- و الأدب الشعبي الجزائري – خصوصا- و يأتي على رأس هؤلاء المستشرقين: ألفريد بال Alfred Bel و جوزاف دسبرميه Joseph Desparmet و رونيه باسيه René Basset و كامي لاكوست – دوجاردان Camille Lacoste – Dujardin وهم من الباحثين الجامعيين، فالأول من خلال ترجمته لقصة الجازية و تعليقه عليها La Djazia . extrait du journal asiatique ، و الثاني من خلال مقاله الذي تحدث فيه عن المغازي : (أغاني المآثر من 1830 إلى 1914م بمتيجة)

Les chansons de geste de 1830 de 1914 dans la Mitidja

و الثالث من خلال دراسته لقصة بنت الخص : La légende de bent El- Khas : extrait de la Revue Africaine و دراسته لـ (غزوة قصر الذهب و معركة علي مع رأس الغول) و الرابع من خلال دراسته للحكاية الخرافية القبائلية التي صدرت عام 1970م Le conte Kabyle étude éthnographique، و يرى الباحث الجزائري الدكتور عبد الحميد بورايو أن "هذه الدراسات" ظلت "تدور في محور ضيق دون أن تقدم شيئا يذكر في مجال الإضافات العلمية كما عجزت عن ملاحقة التطورات التي عرفتها دراسة التراث الشعبي عامة ، و الأدب الشعبي خاصة ، في مختلف بلاد العالم ، بل تكاد تفتقد هذه الدراسات التصور النظري العام و المعالجة المنهجية الدقيقة" (**5**) ،بل أن هذه الدراسات "يغلب عليها طابع الانطباعات العفوية التي لا تخضع لمنهج أو نظرية" (**6**) ،و يدلل على ذلك بما جاء في كتاب ألفرد بال عن حاملي الثقافة الشعبية الجزائرية : "هم مثل جميع البشر ذوي الذهنية البسيطة يعشقون الحكايات الخرافية و القصص الخيالية و الأساطير الخارقة للعادة (...) إنهم سذج لا أكثر و لا أقل و هم اليوم مثلما كانوا قديما" (**7**) ، وللمزيد من المطالعة والاستفادة ينظر كتاب الدكتور عبد الحميد بورايو (الأدب الشعبي الجزائري ، دار القصبة ، الجزائر 2007) .

مع بداية عهد الاستقلال الجزائري بدأت القضية تنحو منحى آخر هو منحى علمي أسس له مجموعة من الباحثين الجزائريين يأتي على رأسهم الباحثة الدكتورة ليلى روزلين قريش والباحث التلي بن

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

الشيخ و الدكتور عبد المالك مرتاض والدكتور العربي دحو و الباحث الدكتور عبد الحميد بورايو؛ فالأولى وضعت مؤلفا قيما تحت عنوان (القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي) و هي رسالة دكتوراه تقدمت بها الباحثة إلى كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1974م ، و الثاني من خلال مؤلفاته القيمة : (دراسات في الأدب الشعبي الجزائري : (من مشاهير الشعر الشعبي الجزائري) و(منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري) و(دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1930- 1945م)،و الثالث من خلال مؤلفاته :(الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة في الأمثال الزراعية و الاقتصادية بالغرب الجزائري)1982م) و(الألغاز الشعبية الجزائرية دراسة في ألغاز الغرب الجزائري) 1982م، و(عناصر التراث الشعبي في اللاز : دراسة المعتقدات و الأمثال الشعبية) و(ألف ليلة و ليلة : تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، و الرابع من خلال مؤلفاته :(الشعر الشعبي و الثورة التحريرية بدائرة مروانة : 1955- 1962م) و(أشعار جزائرية من الديوان الشعبي العام) و(الثورة التحريرية في الشعر الشعبي بمنطقة الأوراس) جزءان، و الخامس من خلال مؤلفاته :(القصص الشعبي في منطقة بسكرة : دراسة ميدانية) و(البطل الملحمي و البطلة الضحية) و(الحكايات الخرافية في المغرب العربي) و (الأدب الشعبي الجزائري : دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر) و (البعد الاجتماعي و النفسي في الأدب الشعبي الجزائري) هذا فضلا عن ظهور المؤلف الذي وضعه نور الدين بن عبد القادر و هو تصنيف لأمثال الشيخ عبد الرحمن المجذوب تحت عنوان (كتاب القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب) الذي طبع على نفقة المكتبة الثعالبية بالجزائر،و هو تصنيف ينزع إلى العلمية و المنهجية شرح من خلاله كثيرا من الأقوال المأثورة التي أصبحت أمثالا شعبية يضرب بها المثل على أفواه كثير من أفراد الشعب الجزائري

كما ظهر بعض الدارسين من يكتب باللغة الفرنسية نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر : الطاوس عمروش : Le grain magique : contes , poèmes,proverbes berbères de **Kabylie و إلى يوسف نسيب : Contes algeriens du Djurdjura ,contes populaires1982**

و منهم من يكتب باللغة العربية الفصيحة كما هي الحال بالنسبة إلى رابح بلعمري في (بذور الألم : قصص شعبية من الشرق الجزائري) 1983م ، و الدكتور عمر بن قينة : (قصص شعبية من الجزائر) 1986م ، و لا يخفى ما لذلك من أثر في إخفاء سمات الإبداع الشعبي الحقيقية .

ظهرت في العصر الحالي العديد من الدراسات التي صبت في الحقل نفسه، لكن بنظرة علمية نقدية نذكر في مقدمتها كتاب (الأدب الشعبي بين النظرية و التطبيق) 1998م لصاحبه الدكتور محمد سعيدي، و كتاب (أنواع النثر الشعبي) 2002م لصاحبه الدكتور رابح لعوبي، هذا الأخير الذي تعرض

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

فيه لكثير من أشكال التعبير في الأدب الشعبي الجزائري، وكتاب الدكتور محمد عيلان (الأدب الشعبي ومناهج دراسته) والذي خصصه لأهم مناهج دراسة الأدب الشعبي وبخاصة المنهج الميداني .

ولا يزال حقل الدراسات في الأدب الشعبي الجزائري متواصلا وبخاصة في الجامعات الجزائرية،وهي دراسات أكاديمية لو وجهت لها العناية الكافية لأسهمت مساهمة فعالة في تطور الأدب الشعبي الجزائري ولفتحت له أبواب العالمية واسعا، وحتى لا ننكر جهد المهتمين فإننا نسجل بارتياح كبير بدايات فتح المجال في وسائل الاتصال الحديثة وبخاصة عالم الانترنت وما تحتويه من مواقع ومنتديات شعبية، ومدونات تهتم بالأدب الشعبي، وهذه المبادرات تسهم بصورة حقيقية في ظهور أدب شعبي تفاعلي، أدب شعبي يستثمر في الوسائط التكنولوجية الحديثة ليتجاوز مرحلة القوقعة الذاتية إلى مرحلة الديناميكية الاجتماعية هذه الأخيرة نراها مسؤولة مسؤولية كبرى على تقدم أدبنا الشعبي عموما والجزائري خصوصا .

3- الأدب الشعبي الجزائري وتكنولوجيا الاتصال :

تمثل الفترة الأخيرة من القرن العشرين مرحلة تكنولوجيا الاتصال من دون منازع حيث لاحظنا كيف ساهمت الوسائل الإعلامية التقليدية السمعية والبصرية من جرائد ومجلات و مذياع وتلفاز في تطور الأدب وانتشاره كالنار في الهشيم بين متلقيه، ثم كيف عجلت وسائل الاتصال الحديثة والمتطورة في حركية الأدب أكثر من ذي قبل وبخاصة عندما نتحدث عن والوسائل الالكترونية من مثل جهاز الحاسوب و الانترنت و المواقع الالكترونية والمدونات الأدبية. إننا أمام ثورة تكنولوجية ومعرفية خلاقة وعظيمة وجارفة لا يقف أمامه شيء فهي تؤثر في كل ما يصادفها إما سلبا أو إيجابا وإلى هذا يشير "كوربين Corbin " إلى ضخامة التأثير إذ يقول : "لا يدرك كثير من المكتبيين إدراكًا كاملاً أنهم في خضم مالا يعد ثورة واحدة أو ثورتين، وإنما ثورات متزامنة تغذي كل منها الأخرى وعندما تأتلف أو تتحد هذه الثورات فإنها كاسحة ومؤلمة مثلما كان حال الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر" (8)

إن العصر الإلكتروني تطوير لكل ما أنجز على صعيد إنتاج وتلقي الثقافة منذ اختراع المطبعة وحتى قبل ذلك بكثير وأي موقف سلبي منه هو موقف من المعلومات ومن هنا يأتي دورنا في الحديث عن أهمية وخطورة تكنولوجيا الاتصال الحديثة في مجال الأدب الشعبي، و لا يمكننا مع ذلك إنكار الدور الايجابي لها ولعل من أبرز الايجابيات أنها عرفت بالفولكلور عموما وبالأدب الشعبي خصوصا،وذلك

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

سواء من خلال الحصص المتخصصة أو البرامج الترفيهية أو الأفلام والمسلسلات حيث اطلعت شرائح واسعة من المجتمع وبمختلف مستوياتها الاجتماعية والثقافية والعمرية،ومن الأمثلة التي يمكن الاستدلال بها المسلسلات القائمة على فن السيرة الشعبية من ذلك : مسلسل سيرة عنترة بن شداد، وسيرة علي الزيبق، ومسلسل سيف بن ذي يزن ، والسيرة الهلالية، والزير سالم، هذا على المستوى العربي أما على مستوى الأدب الشعبي الجزائري نذكر الجازية وحيزية ...الخ،والموضوع ذاته فيما يخص الحديث عن الأغاني الشعبية أو الأمثال الألغاز، وهما الشكلان الأدبيان الأكثر حضورا في البرامج الترفيهية والمسابقات الثقافية؛ فوسائل الاتصال ذات التكنولوجيات المتطورة وظفت الأدب الشعبي في رسالتها الإعلامية ، كما أسهمت مساهمة فعالة في تقريب الشعوب فيما بينها قافزة عن تلك الحواجز والحدود الجغرافية والسياسية والثقافية والاجتماعية التي خلقتها الأنظمة الاستعمارية أو الاستبدادية، وهنا نتذكر ما قاله الدكتور الباحث عبد الحميد حواس ومارشيل مالكوهن : بأن الوسائط الجماهيرية أنعشت الشفوية السماعية،وهي خاصية تعود أصلا إلى المجتمعات القبلية القديمة، وكلنا يدرك أن من أبرز وأهم سمات الأدب الشعبي الشفوية السماعية؛ أي التداول القائم على الرواية التي لا تحصل إلا من خلال : المشافهة والسماع ؛ بمعنى أن الأدب الشعبي في مراحله الأولى هو أدب اللسان والأذن، وبفضل الوسائل التكنولوجية في عالم الاتصال اكتسب ميزة ثالثة وهي البصرية القائمة على العين .

وعليه نقول : إن وسائط الاتصال المختلفة أسهمت فعليا في نشر وإحياء الفولكلور وبخاصة الأدب الشعبي كما عملت على عصرنته وعرضه في صور جديدة تتماشى والحياة العصرية محافظة على أصالته رابطة بين المظاهر الحياتية المتجددة والتراث الشعبي في وسائل إعلامية لإحداث التواصل الاجتماعي والحضاري بين الأسلاف والآباء والأحفاد كل ذلك في حلقة تواصل اجتماعي لا تنفك عراها .

كما أتاحت وسائط الاتصال المختلفة قدرا كبيرا من الحرية التعبيرية لكل فرد وجماعة ، وسمحت لهم بنشر أدبهم الشعبي والتعريف به وتطويره من خلال المنتديات والمواقع الالكترونية التي أسهمت بفعل في تطور الأدب الشعبي واحتلاله حيزا معتبرا في تلك الوسائط الاتصالية، كما أنها حررتهم من السلبية القائمة على التلقي والتلقين وهما ميزتان واكبتا الأدب الشعبي في مرحلة الرواية الشفهية فأصبح بمقدورهم " التدخل فيها وأن يصبحوا أنفسهم مصادر إرسالها الأصلية " (9) ، ومع هذا فإن وظيفة الباحث

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

والمطور للفولكلور عليه أن لا يقتصر جهده على رصد وتسجيل المواد الفولكلورية،وإنما عليه أن " يتجاوز ذلك إلى غربلة تلك المواد للتمييز بين المأثور الحقيقي والإبداع الزائف والمأثور المستغل في الدعاية التجارية" (10) ، فإذا أدرك الباحث في التراث الشعبي الجزائري هذا الدور وأدرك أيضا أهمية وسائط الاتصال في نشره وتطويره فإنه يدفع بذلك خوف وحذر الخائفين على التراث الشعبي ،ولكن هل فعلا هناك مخاطر تتهدد الأدب الشعبي الجزائري نتيجة وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة ؟ .

عند تصفح الدراسات والأبحاث التي عالجت ظاهرة تعاطي الإبداعات الشعبية مع الوسائل التكنولوجية الحديثة نجد أن صيحات التحذير والتخويف من السلبيات التي تلحق بالتراث الشعبي ومنه الأدب الشعبي جراء استغلاله من قبل وسائل الاتصال الحديثة _ وهي مخاوف فيها من الصواب والصحة_ ولكن هذه المخاوف تزول عندما نحسن التعامل مع تلك الوسائط .

ولما كان هدف الأدب الشعبي الارتقاء بالذوق الفني والجمالي للمتلقين له وغرس القيم والمبادئ الجماعية في الأفراد، هذه المهام لا تتحقق بصورة سريعة وفعالة ومؤثرة إلا إذا وظفتها وسائط الاتصال الجماهيري، ومع هذا لنا أن نتساءل متخوفين: هل يحافظ الأدب الشعبي على خصوصياته ومميزاته الأولى الدافعة لظهوره إذا استخدمته الوسائط الاتصالية والمعلومية ؟ .

لابد أولا من تأكيد حقيقة واقعية تتمثل في سيطرة وهيمنة النزعة الفردية في العصر الحديث نتيجة التكنولوجيا الإعلامية من التلفاز إلى الانترنت، وقد حلت هذه الأجهزة المنمية للفردانية محل المجالس الجماعية التي كانت سائدة في مجتمعات أسلافنا، وهي مجالس لها آدابها وقيمها وقوانينها التي تعمل على تقوية النزعة الجماعية وإذابة الفردانية؛ أي تقوية الإحساس بالانتماء للجماعة، ومن منا لا يذكر دور الجد والجدات في تأطير الأسرة وحمايتها من النزعة الفردية، ومن منا ينسى دور الرواة الشعبيين في الأسواق والأماكن العامة، لقد زالت هذه المظاهر وما بقي منها يقاوم باستحياء وخل محلها التلفاز والسينما والانترنت وألعاب الفيديو والحواسيب ...الخ فما يقضيه الفرد أمام تلك الوسائط أكثر بكثير مما يقضيه مع أفراد عائلته أو مع شرائح مجتمعه .

ومن الأسباب التي جعلت الباحثين يتخوفون من الوسائط الاتصالية ما حدده الباحث جان برونفاند في سببين اثنين هما :

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

1- قلة المتدربين والمتحكمين في الوسائط التكنولوجية من علماء الفولكلور.

2- إن علم المصطلحات والمناهج الضيق في مجال الفولكلور والذي اقتصر على المناهج الكلاسيكية المحدودة قد خلق فجوة واسعة بين علمي الفولكلور والوسائط الجماهيرية .

قد يكون السبب الثاني مقبولا إلى حد ما غير أن السبب الأول نرى فيه نوع من التعميم ومجانبة الحقيقة إذ بات من الضروري لدارسي الفولكلور في العصر الحديث التحكم في الوسائل التكنولوجية واستخدامها الاستخدام الأمثل؛ لأنه بفضلها نحقق للفولكلور الحماية والبقاء والاستمرارية فـ" وسائل الإعلام المسموعة والمرئية تفتح وجود الإنسان كله على العالم، وتفتح العالم كله أمام وجود الإنسان، إنها تخاطب وجود الإنسان كله : جسده وحواسه جميعها، وتثير دهشته أمام الكون وتحرر حياته الانفعالية والعاطفية " (11) ، وقد يكون التخوف لأسباب علمية وأخرى مرتبطة بالهوية يقول الباحث صفوت كمال في هذا الشأن : " ... وفي عصرنا الحالي يواجه دارسو الحكايات الشعبية صعوبات عدة في معرفة البعد الزماني ، أو الأصل الجغرافي للحكايات التي تم جمعها منذ فترات طويلة أو ما جمعت حديثا نظرا لأن وسائل الاتصال الجماهيرية من صوتية ومرئية حلت محل الرواة الشفهيين ، كما أن اهتمام وسائل الاتصال بمواد المأثورات الشعبية وإذاعتها وإعدادها إعدادا فنيا محدثا قد كسر حواجز المسافات واللغات بين ثقافات الشعوب ، بل سوف يصبح من العسير مستقبلا وضع دراسات علمية دقيقة عن المأثورات الشعبية لدى الشعوب ومعرفة الحدود الفاصلة بين ما هو منتج أصيل في مجتمع ما وما هو محدث ومستقبل وشائع ، بل وبين ما هو إبداع شعبي محدث أو ما هو مأثور متوارث أو بين ما هو شائع بين الناس وليس من إبداعهم ، بل هو من إبداع فرد أو جماعة محدودة وشاع بين الناس عن طريق وسائل الإعلام الحديثة " (12) ، فالعملية الإبداعية والتواصلية لابد لهما من أطر علمية ومنهجية واضحة وأهداف محددة للارتقاء بفولكلورنا ولتقديمه للعالمية في أبهى صوره وهذا ما يجعلنا نلقي على عاتق المدونين وأصحاب المنتديات والمواقع في الانترنت ، والإعلاميين بمختلف وسائلهم مسؤولية حماية وتطوير الفولكلور الجزائري والذي هو جزء لا يتجزأ من الفولكلور العربي والعالمي .

لو نظرنا إلى واقع الأدب الشعبي الجزائري في ظل تكنولوجيا الاتصال نجده لا يزال غير محقق لرغبات الباحثين والمختصين وحتى الهواة، فبنظرة سريعة على ما يعرض في وسائل الاتصال السمعية والبصرية والمكتوبة نرى الحضور المحتشم للبرامج والحصص والمقالات وحتى الصفحات المخصصة للأدب الشعبي الجزائري، وإذا ما التفت إليه فلا يعطيه حقه كاملا وبالتالي كيف لنا الحديث عن الأدب الشعبي

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

الجزائري في وسائل الإعلام وبخاصة التلفزيون والجرائد العمومية والخاصة " إن إعلامنا يتخذ من تراثنا موقف العارض والزائر ، تطوف كاميراته بصحون الجوامع وردهات المعابد وشواهد المواقع الأثرية ، وتنقل ميكروفوناته الغناء الشعبي وشعرنا الفولكلوري ، وهلم جرا ، ولكن – غالبا – ما يتم ذلك دون تعميق وعرض لمآثر هذا التراث في سياقه الثقافي الأشمل ، الذي يعين المتلقي على تذوقه واستيعابه " (13) ، كما أن التقصير وقلة الاهتمام بالأدب الشعبي الجزائري سجل منذ سنوات الاستقلال الأولى ؛ وذلك بسبب القوى المتصارعة مؤسساتيا وأيديولوجيا وفكريا،وفي هذا الشأن يقول عبد الحميد بورايو : " عرفت مؤسسات الدولة الجزائرية في مستهل مرحلة الاستقلال الوطني هيمنة توجهين ثقافيين أساسيين ، كان لهما دور كبير في قيادة وتسيير حركة التحرر الوطني وهما : الحركة الإصلاحية الدينية من جهة ، والتوجه الثقافي والتقني المفرنس ، المتكون في أحضان المدرسة الفرنسية ، والذي كانت له اليد الطولى في تسيير المؤسسات الإدارية والاقتصادية ، لم يكن لأي من هذين الاتجاهين ميل للاهتمام بمواد الثقافة الشعبية " (14) ، ولنا أن نتصور الفائدة أو الفوائد الاجتماعية والتربوية والاقتصادية لو اهتمت تلك التوجهات الوطنية من خلال الوسائط الإعلامية بأدبنا الشعبي الجزائري وقدمته باحترافية إعلامية ووظيفية ورسالية ، فعلى سبيل التمثيل رائعة حيزية انتشرت بين الأوساط الاجتماعية بفضل تحويلها إلى عمل تلفزيوني وهنا لابد من الإشادة بجهود الدراما السورية والمصرية التي عملت على إخراج العديد من سيرنا الشعبية في أعمال تلفزيونية أعطت لها الانتشار والخلود والتأثير في أوساطنا الاجتماعية، كما لا ننسى استخدام الأغنية الشعبية الجزائرية للوسائط التكنولوجية كالأشرطة السمعية – الكاسيت – وهذا على يد عمالقة الغناء الجزائري من أمثال : دحمان الحراشي ، والعنقى ، وعبد الحميد عبابسة ، ورابح درياسة ، وعبد الله مناعي ، وبقار حدة ، وعيسى الجرموني ، وبورقعة ...الخ ، ولو لا تكنولوجيا الاتصال الحديثة وبخاصة الانترنت لبقى أدبنا الشعبي نسيا منسيا لا يذكر إلا في مناسبات محددة لأداء وظيفة فولكلورية، إننا هنا لا نقدم صورة سوداوية ولا ننظر لنصف الكأس الفارغ فقط إننا ننظر للمسكوت عنه والمهمش والموضوع في خانة تحت الطلب، إننا نريد أن ننبه إلى أهمية إدخال أدبنا الشعبي وسائل ووسائط الإعلام والاتصال إذا ما أردنا فعلا بناء حركة أدبية فعالة ومؤثرة في الحركات الأدبية العالمية .

مستقبل الأدب الشعبي و ظل مجتمع المعلوماتية :

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

الحديث عن مستقبل الأدب الشعبي في ظل مجتمع المعلوماتية يدفعنا إلى تقرير الحقائق التالية التي نقدمها في شكل أسئلة معرفية:

1 – ما مدى جاهزية النص الشعبي لدخول عالم المعلوماتية ؟.

2- هل المعلوماتية كتقنية تكنولوجية آلية تحفظ للنص الشعبي خصوصياته المعنوية ؟.

3 – الأدب الشعبي بمختلف أشكال تعبيره وبميزاته الشكلية والفنية هل يستطيع مسايرة المعلوماتية في فلسفتها العالمية والعولمية ؟.

4 – الذاتية الثقافية المحمولة في الأدب الشعبي هل تصمد أمام صيحات العولمة التي تركب أجنحة المعلوماتية ؟.

5 – هل بدخول الأدب الشعبي عصر المعلوماتية يفقد مبرر وجوده ؟.

لم يعد الحديث عن الأدب الشعبي في الوسائل الاتصالية الحديثة يعني الجانب العلمي والفكري فيه بل أصبح في كثير منه يعني البعد الفولكلوري الكرنفالي الذي يحضر في مناسبات معينة ثم يغيبه الإعلام إلى وقت لاحق، إن هذه الانتقائية في التعامل مع الأدب الشعبي من قبل القائمين على المؤسسات الثقافية والإعلامية والاتصالية هي التي جعلت أدبنا الشعبي يبقى حبيس النظرة الدونية من الخاصة والعامة، وهنا لابد من التأكيد على ضرورة أن من يقوم بتكنلجة الأدب الشعبي أن يكون مدركا كل الإدراك لجوهره وفلسفة وجدوده إبداعيا " إن الوقت قد حان ليعمل باحثو الفولكلور على توسيع حقل اكتشافهم للمادة الشعبية إلى مزيد من الجمع الحقلي والسعي نحو استخلاص مادة دراستهم مما اختلط مع الثقافة الجماهيرية في عصر أصبح فيه كل من الفولكلور والثقافة الشائعة عرضة للتأثر والتأثير بعضهما ببعض " (15)، كما وجب التعامل مع الأدب الشعبي من خلال وسائل الاتصال المختلفة تعامل الهوية والخصوصية لا تعامل الربح والتجارة والاستهلاك الترفيهي .

تعد الثورة التكنولوجية في عالم الاتصال فاتحة خير على الأدب الشعبي إذ انبرى العديد من المختصين والتقنيين إلى التعريف به وتوظيفه في تجاربهم، ومع هذا الطرح المتفائل إلا أننا لا يمكن أن نغطي الشمس بالغربال فالأدب الشعبي لا زال يعاني التهميش من وسائل الإعلام والاتصال فكثير من

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

الناس يجهلون دوره في البناء الحضاري والإنساني، وكثير منا من يتعامل معه تعاملا كرنفاليا مناسباتيا وهو في حقيقته أبعد من ذلك كثيرا .

إنه من الواضح أن تكنولوجيا المعلومات سوف تبدأ أساسًا بتغيير الأدب الشعبي على مستوى النشر والطبع، والتأليف...الخ، وأن تلك التغيرات سوف تتسارع في المستقبل، ولكن لا يوجد أحد في الوقت الحاضر يستطيع التنبؤ متى وكيف تستطيع التكنولوجيا أن تجعل الأدب الشعبي رائدا ومهما أو العكس في ظل تكنولوجيا الاتصال المتطورة والمتغيرة، ذلك لأن: " تكنولوجيا المعلومات تستحث الفكر الإنساني على إعادة طرح الأسئلة المرجأة والمستحيلة " (16) وفعلا فإن تكنولوجيا المعلومات باختلاف أشكالها وألوانها ستجيب على الكثير من الأسئلة المعرفية المتعلقة خصوصا بتراثنا الشعبي ومواقفنا منه ، إن الواقع العملي يشير إلى أن المجتمعات بمختلف أطيافها الثقافية لا تزال بحاجة إلى الأدب الشعبي ، وأن مبدعي الأدب الشعبي يجب عليهم تلبية متطلبات هؤلاء من النصوص والإبداعية القديمة والحديثة مع وجود التكنولوجيا الحديثة في الوقت الحاضر.

ونتيجة لكل ما سبق يمكننا أن نقترح بعض الحلول والأفكار نرى أنها إذا ما تجسدت على أرض الواقع فإنها تجعل للأدب الشعبي الجزائري واقعا متميزا بين الآداب العربية والعالمية سواء من ناحية الإبداع والتعريف به أو من ناحية الدراسة والتخزين والتدوين، وهي مهمات ليست بالسهلة في ميدان الأدب الشعبي المختلف تمام الاختلاف عن الأدب الفصيح سواء من حيث اللغة المعتمدة في التعبير؛فالأدب الشعبي يعتمد اللهجات والعاميات وأحيانا اللغة الفصحى ولكن بتجريدها من قواعدها النحوية والصرفية،أو بالمزاوجة بين العامية والفصحى وهذا ما يسميه أهل الاختصاص باللغة الثالثة،أو من ناحية الأشكال التعبيرية المعتمدة، وهذه الاقتراحات هي :

1- التعجيل بإنشاء موقع رسمي للأدب الشعبي الجزائري المجهول المؤلف والمعلوم .
2- العمل على تحويل الروائع الشعبية الجزائرية سواء الحكايات الشعبية أو الأساطير إلى أعمال تلفزيونية أو سينمائية.
3- العمل على تسجيل وإعادة تسجيل النصوص الشعبية على الوسائل التكنولوجية الحديثة كالأقراص المضغوطة C D ، أو DVD.
4- تحويل النصوص الشعبية الشعرية والنثرية المدونة من المكتبات التقليدية إلى المكتبات الرقمية .
5- تكوين باحثين في الأدب الشعبي في مجالات التكنولوجيات الحديثة .

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

6- العمل على إنشاء مركز مجهز بالتكنولوجيات الحديثة لدراسة وتطوير الأدب الشعبي الجزائري.

7- العمل على إنشاء بنك لتخزين نصوص الأدب الشعبي الجزائري .

8- إنشاء مجلة رقمية تهتم بالأدب الشعبي إبداعا ودراسة .

هذه بعض المقترحات رأينا ضرورة تقديمها إذا أردنا أن يكون لأدبنا الشعبي الجزائري الدور الريادي في المحافظة على الهوية الوطنية في ظل عواصف العولمة التي تجتاح البلدان دون قيود أو حدود .

الخاتمة:

لما بات من الواضح أثر وسائل الإعلام والاتصال في حياتنا المعاصرة من خلال صياغة نمط حياتنا سعت هذه المقالة الموسومة بعنوان : واقع الأدب الشعبي الجزائري في ظل تكنولوجيا الاتصال، إلى أن تقدم الإجابات عن بعض الأسئلة المعرفية المتعلقة بواقع أدبنا الشعبي في ظل التطور التكنولوجي لوسائل الإعلام حيث لم تعد مسألة الهوية والخصوصية بعيدة المنال عن عوامل وحوافز التغيير، كما أن الأدب الشعبي في ظل الحركية الإعلامية والاجتماعية لم يعد يفهم بالمقولات التقليدية، لذا كانت من إشكاليات بحثنا : هل يمكننا الحديث في ظل العولمة عن أدب شعبي بخصوصيات قومية أو مجتمعية محضة ؟ وهل يمكننا تقديم الأدب الشعبي سواء للطلبة أو المنتديات العلمية بالمفاهيم التقليدية المتعارف عليها ؟ وكيف يمكن للأدب الشعبي الاستفادة من تكنولوجيا الاتصال الحديثة ؟ وهل يمكننا الحديث عن مستقبل للأدب الشعبي في ظل التحولات الاجتماعية والإعلامية؟

هذه بعض الفرضيات النظرية لإشكاليات معرفية ارتأينا طرحها في هذا المقال فاسحين المجال للدراسات والأبحاث المهتمة بهذا الميدان البكر من الدراسات الشعبية لتسليط الضوء أكثر.

هوامش و مراجع الدراسة :

أولا:الهوامش:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

[1] _ burns tom , folklore in the mass media , folklore forum , volume2 , no 4 , 1969 , p 90

2 – معن النقري : المعلوماتية والمجتمع ، مجتمع ما بعد الصناعة ومجتمع المعلومات ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2001 ، ص : 07

3 – المرجع نفسه، ص : 15

4– صباح محمد كلو : تكنولوجيا المعلومات والاتصال وانعكاساتها على المؤسسات المعلوماتية ، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية ، المجلد 6 ، العدد 2 ،رجب – ذو الحجة 1421 ، أكتوبر 2000 ، مارس 2001 ، ص59

5 _ عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة ، دراسة ميدانية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ، ص : 32

6_ المرجع نفسه،الصفحة نفسها

7_ المرجع نفسه ، ص : 29

8-Corbin, John. The Education of Librarian in an age information Technology Administration Vol. 9 No. 4, 1988, P. 77.

9_ مجموعة من المؤلفين : ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها في الدولة والمجتمع بالعالم العربي ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية أبو ظبي ، ط1 ، 1998 ، ص : 235

10 _ حصة سيد زيد الرفاعي : المأثورات الشعبية النظرية والتأويل ، ص 113

11 – مجموعة من المؤلفين : التراث وتحديات العصر في الوطن العربي ، الأصالة والمعاصرة ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1987 ، ص : 702

12 _ صفوت كمال : الحكاية الشعبية الكويتية ، دراسة مقارنة ، ط1 ، 1986 الكويت ، ص : 36

13 – نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات – رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي ، عالم المعرفة الكويت ، ط1 ، جانفي 2001 ، ص : 385

14 – عبد الحميد بورايو : الأدب الشعبي الجزائري ، دار القصبة ، الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، ص : 27

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

15-Brid Donald :Atheory For Folklore In Mass Media:Traditional Patterns In The Mass Media Southern Folklore Quarterly , V 40, 1976 , P285

16- نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات – رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي ، ص : 403

ثانيا:المراجع

1_العربية :

1- معن النقري : المعلوماتية والمجتمع ، مجتمع ما بعد الصناعة ومجتمع المعلومات ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2001

2- عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة ، دراسة ميدانية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986

3- مجموعة من المؤلفين : ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها في الدولة والمجتمع بالعالم العربي ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية أبو ظبي ، ط1 ، 1998

4- حصة سيد زيد الرفاعي : المأثورات الشعبية النظرية والتأويل ، المدى ، سورية ، ط1 ، 2005

5- مجموعة من المؤلفين : التراث وتحديات العصر في الوطن العربي ، الأصالة والمعاصرة ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1987

6- صفوت كمال : الحكاية الشعبية الكويتية ، دراسة مقارنة ،الكويت ط1 ، 1986

7- صباح محمد كلو : تكنولوجيا المعلومات والاتصال وانعكاساتها على المؤسسات المعلوماتية ، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية ، مج 6 ع 2 ،رجب – ذو الحجة 1421 ، أكتوبر 2000 ، مارس 2001

8- نبيل علي : الثقافة العربية وعصر المعلومات – رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي عالم المعرفة ، الكويت ، ط1 ، جانفي 2001

9- عبد الحميد بورايو : الأدب الشعبي الجزائري ، دار القصبة ، الجزائر ، ط 1 ، 2007

2_الأجنبية:

-1burns tom , folklore in the mass media , folklore forum , volume2 , no 4 , 1969

- 2Brid Donald :Atheory For Folklore In Mass Media:Traditional Patterns In The Mass Media Southern Folklore Quarterly , V 40, 1976

- 3Corbin, John. The Education of Librarian in an age information Technology

Administration Vol. 9 No. 4, 1988

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/389